

بريطانيا:
الصورة والواقععلي الصراف
كاتب عراقي

لا يحتاج إلى أكثر من توقع عروض الشراء للمستشفيات والمؤسسات الفرعية الملحق بها. والضغط لا تأتي من الشركات الأميركية وحدها التي تبغ الصحة لجني الأرباح، بل من شركات الأدوية البريطانية الكبرى التي تريد أن تتحرر من الضوابط المفروضة على أسعار ما تبيعه من دواء.

هذا بلد مهترئ ليس في خدماته الصحية فحسب، ولكنه مهترئ في إدارته أيضاً. بقاء حزب المحافظين الطويل في السلطة أفسد كل شيء تقريباً. وهذا أمر لا يشكل إدامة لسياسات هذا الحزب بالضرورة، ولكن سلطة من دون تجديد لا بد في النهاية أن تتحول إلى سلطة فاسدة. حتى تولى قيادتها شخص مفسود طبعاً وخلقة، يجرؤ، على غرار نظيره الأميركي الأكثر فساداً منه، على أن يفصل الأشياء على مفاصله.

كيف انتهى هذا البلد إلى هذه الحال؟ هناك مؤسسة إشراف مخملية لا تقل استرخاءً وفساداً، تحسب أن تحفظ التقاليد أهم بكثير من أي شيء آخر. كما أن هناك مؤسسة إعلام، سوفيتية الضوابط، ترعى بناء صورة مزيفة عن طبيعة الواقع، وعن عظمة لا وجود لها. قارن لو شئت أن تقارن، فسترى ما أراد: لا أعداد الإصابات ولا الوفيات ولا النسب بينها، بلغت في إيطاليا ما بلغ في بريطانيا. ولو أنك راجعت الصورة عن إيطاليا، فلسوف ترى وكان القيامة قامت هناك، بينما الجحيم يبدو عادياً هنا في بريطانيا، حتى لكانه غير موجود أصلاً.

هناك شيء مهم يحسن أخذه بعين الاعتبار، وهو أمر إشكالي أيضاً. البريطانيون يتمتعون بحس عال من عزة النفس. بل ويتغرسون فيها حتى ولو كانوا يعمرون بأهلك الظروف. وإذا أخطوا فإنهم مستعدون للتمسك بالخطأ على أن تنجرح لهم تلك العزة. وهذا مفيد وضار في الآن نفسه، مفيد لأنه يشكف عن معدن صلب لا يخشى أفسس الظروف، وضار لأنه يجعل الإنم في الخطأ إثمًا مضاعفاً. لا يمكن القول إنهم من دون مشاعر. أبداً. ولكنهم يحرصون على عدم إظهارها لكي لا تبدو كدلالة على الضعف.

مشهورة تلك الحادثة: فعندما ودعت الأمهات أطفالهن الذين تم ترحيلهم في قطار إلى مكان آمن من القصف الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، فقد كن يبتمنن ويلوحن بالمناديل بفرح ظاهر، ولكن ما إن خرج القطار من المحطة حتى أجشهن بالبكاء.

الشيء نفسه حصل مع قضية الخروج من الاتحاد الأوروبي. فلقد صوتت غالبية بسيطة لصالح الخروج. وعندما طرحت القضية من جديد من خلال الانتخابات التي جرت في ديسمبر الماضي، صوتت له غالبية ساحقة، إذ تمسك الناخبون بالإثم، وبالغوا فيه، حتى وهم باتوا يعرفون حجم الضرر. المساروي في هذه الطبيعة هو أنها تدفع هذا البلد ليكون أقل مما يستحق. وتعرضه للمزيد من المخاطر. وتجعله عاجزاً عن ردم الهوة المتفاقمة بينه وبين الواقع.

الأكثر مأساوية، هو أنه عندما تكون الصورة أهم من الأصل، فإن المرء سرعان ما يجد نفسه مقبلاً في متحف مغلق من التصورات البائدة والباردة. الصورة تقول إن بريطانيا تستطيع أن تنفق تريليون جنيه إسترليني لتغطية عواقب وباء كورونا. وإنما أقوى بمفردها مما لو كانت جزءاً من الاتحاد الأوروبي. وإنما تستطيع أن تعتمد على تحالف "إنجلوساكسوني" مع الولايات المتحدة على حساب كل الآخرين، فهل تتوافق هذه الصورة مع حقائق الاقتصاد، والاستراتيجيات السياسية الحديثة؟

الصورة تقول إن مؤسسة الخدمات الصحية هي واحدة من أعظم المؤسسات الصحية في العالم. هل هذا هو الواقع؟ وعندما كان يبدو هذا البلد بحاجة إلى "هزة" قوية تحرك المياه الالسة فيه، في انتخابات ديسمبر الماضي، فماذا حصل؟ اتسعت البركة فحسب.

السوسة اللواتي كن يودعن أزواجهن بالمناديل في الطريق إلى المستشفى، يجهنن بالبكاء الآن، إنما بعد خروج القطار من المحطة.

على الرغم من كل المأساة التي شهدتها دول أوروبا الأخرى من جراء تفشي وباء كورونا، فإن الأوضاع في بريطانيا أسوأ، ليس من حيث عدد الإصابات فحسب، بل ومن حيث نسبة الوفيات بين المصابين أيضاً.

ولئن أصبحت هناك بؤر أخرى لتفشي الوباء، لاسيما في البرازيل وروسيا والمكسيك، تثير الكثير من مشاعر المرارة، فالحقائق الإحصائية تشير إلى أن بريطانيا في حال أسوأ منها جميعاً، حيث باتت تحتل المرتبة الأولى في العالم في نسبة الوفيات بين المصابين. وهذا مؤشر خطير إلى درجة تكفي للتشكيك بكفاءة مستوى الخدمات الصحية في هذا البلد.

الحقائق تشير إلى أن عدد الوفيات في بريطانيا قد وصل إلى 40 ألف شخص، وعندما يضاف إليهم نحو عشرة آلاف ضحية لم يتم تسجيل وفياتهم في دور رعاية المسنين، وهو ما أشار إليه زعيم حزب العمال المعارض كير ستارمر في مساعلة البرلمان الأخيرة لرئيس الوزراء بوريس جونسون، فإن مجموع الوفيات في بريطانيا سوف يزيد عن 48 ألف ضحية، وسط عدد مصابين يزيد عن 272 ألف إنسان. وهذا ما يجعل معدل الوفيات بين المصابين يبلغ 17.6 في المئة. وهي أعلى نسبة وفيات في العالم. هذه النسبة تبلغ 5.8 في المئة في الولايات المتحدة، و6 في المئة في البرازيل، و11.3 في المئة في إسبانيا، و14.2 في المئة في إيطاليا، و15 في المئة في فرنسا، و4.3 في المئة في ألمانيا.

هذا بلد مهترئ ليس في خدماته الصحية فحسب ولكنه مهترئ في إدارته أيضاً حيث أفسد بقاء حزب المحافظين في السلطة كل شيء وهذا أمر لا يشكل إدامة لسياسات هذا الحزب ولكن لسلطة من دون تجديد

وهناك دواع رقمية، على الأقل، بوسعها أن تشكل في القيمة الحقيقية للهوية البطولية المزعومة لمنظمة الصحة الوطنية في بريطانيا. وهو أمر تنبه إليه الأمير وليام، الثالث في الترتيب على عرش الملكة، والذي أعرب عن خشيتيه من الأعباء النفسية التي تضعها هذه الهوية على عاتق موظفي هذه المؤسسة.

الشيء المؤكد هو أن عشرات الآلاف من أولئك الموظفين هم من مقاتلي الصف الأول، وهم درع الدفاع الذي سوف يظل يستحق التصفيق، وهناك العشرات بينهم من ضحوا بحياتهم بالفعل في السعي لإنقاذ حياة آخرين. ولكن المؤسسة نفسها ليست على مستوى

الوهم الذي يشاع عنها. فهي غيرجهزة على نحو ملائم، كما أنها لا تدفع رواتب تعادل مستوى المسؤوليات التي يتحملها موظفو الصف الثاني والثالث من الأطباء والمرضى وغيرهم، وذلك على عكس امتيازات إحصائي الصف الأول، الأمر الذي يجعلها مؤسسة ذات طبيعة طبقية مهترئة قياساً بواجباتها الإنسانية.

وعلى امتداد أكثر من عشر سنوات ظلت هذه المؤسسة تعاني من نقص في التمويلات، حتى أصبحت عاجزة عن تلبية الكثير من الاحتياجات الأساسية للمرضى. ولقد أصبحت قائمة الانتظار لإجراء العمليات الجراحية الضرورية جزءاً من تجارة شركات التأمين الخاصة التي تكاد لا تقدم للمستفيدين من خدماتها شيئاً أهم من القول "لا انتظر إذا اقتضت الحاجة إلى إجراء عملية جراحية".

ولئن ظل المحافظون يجفرون الأرض من تحت هذه المؤسسة من أجل بيعها في النهاية إلى شركات الرعاية الطبية الرأسمالية، فقد ظلوا يتكروون ذلك على طول الخط. وهناك هيكلية "بيع" صارخة تغمر هذه المؤسسة إلى درجة يكاد تنفيذها

المبادرة المصرية في مواجهة رفض الوفاق
وتعنت تركيا وانفلات الميليشيات

الشرقية، ودعمتهم بالآلاف من المرتزقة والإرهابيين الوافدين، والخطة التركية القادمة هي شن حرب على الجيش في جنوب وشرق البلاد لإنهاء دوره تماماً، فهل تتدخل مصر فعلياً لحماية مصالحها في ليبيا؟

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

حذام خريف

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

أن هناك من العواصم الغربية من لا تزال تراهن على الإسلام السياسي كمعبر آمن لاخترق الأوطان، وترى في الجيوش والمؤسسات السبادية عموماً سدا أمام أطماعها.

لن تكون للمبادرة المصرية أي جدوى إذا لم يتم إقرارها رسمياً من قبل مجلس الأمن، ومنحها غطاءً شرعياً أممياً يسحب الغطاء عن شرعية الصخيرات المترهلة، ويفرض الاتجاه إلى إعادة تشكيل بنية الدولة الليبية على أسس قيام دولة الاستقلال في العام 1951، إذ ورغم أن في ذلك عودة إلى الوراء بـ70 عاماً إلا أنه يبقى أفضل بكثير من الاستمرار في الصراع إلى ما لا نهاية.

يستطيع العالم الضغط على الجيش لأنه أولاً وأخيراً مؤسسة سيادية، وقد تم الضغط عليه بشكل غير مسبوق فعلاً، ولكن من يستطيع الضغط على المرتزقة والإرهابيين؟ إلى حد الآن كل المعطيات الميدانية تؤكد أن ميليشيات الوفاق بقيادة تركيا لا تزال تواصل اندفاعها نحو سرت باعتبارها البوابة نحو الهلال النفطي، كما هناك تحركات مشبوهة في الوسط والجنوب.

وهناك رفض ملعن من حكومة الوفاق للمبادرة، وتعنت تركي، ورفض ضمني جزائري مرتبط بعقدة قديمة نحو الدور المصري، ورفض مغربي غير مبرر، وموقف تونسي متذبذب، وموقف إيطالي لا يخرج عن دائرة الانتهازية السياسية، ومواقف داعمة ولكن لا تصل إلى حد الالتزام التام بمخرجات.

إن أي محاولة لتجاهل المبادرة المصرية تعني الدفع نحو المزيد من التصعيد العسكري وفق رغبة الأتراك، وحلفائهم من الساعين إلى بسط نفوذهم على منابع الثروة، وإلغاء دور الجيش والوصول إلى الحدود الشرقية.

وهذا يعني الدفع نحو حرب أهلية شاملة، لن تقف فيها الجهات الداعمة للقوات المسلحة على الحياد كما حدث في معركة الجهة الغربية، وخاصة مصر التي أصبح أمنها القومي مرتبطاً بسرت والجفرة، وهي تترك جيداً نوايا النظام التركي والإخوان نحوها، وما يتم التخطيط له لضرب استقرارها من قبل أردوغان وحلفائه.

أصبحت الكرة في مرمى المجتمع الدولي، ولكن البعض يرى أن ذات الكرة سبق أن وضعت في ذات المرمى دون أن يتحقق الهدف، فهل ستحصل المعجزة هذه المرة؟

لا شيء يدفع نحو التفاوض فعلاً، فغرفة العمليات التركية أعدت آلاف المسلحين من قلول تنظيم القاعدة وداعش والإخوان الفارين من أجدابيا وبنغازي ودرنة لتعديدهم إلى المواجهة مع الجيش في المنطقة

بدورها منذ 2011، وأن مصلحة أصحاب القرار تكمن في تسليم الحكم إلى القادرين أكثر من غيرهم على بيع البلاد والتفريط في مقدراتها المالية والاقتصادية وموقعها الاستراتيجي وفي قرارها السياسي.

جاء هؤلاء عواصم العالم غرباً وشرقاً لإبداء الاستعداد لتقديم الخدمات والتفريط في المساحات والإمكانات لن يصرفهم على الجيش، وتحديد أولئك الذين جاء بهم اتفاق الصخيرات قبل خمس سنوات، إما عن طريق الصدفة التي لا تخلو من مخالطة التوظيف المخابراتي كفايز السراج، أو عن طريق إعادة التدوير السياسي بعد الهزيمة الانتخابية كما هو الشأن بالنسبة للمجلس الأعلى للدولة غطاء الإخوان والجماعة المقاتلة للانقلاب على الشرعية السودورية والبرلمانية.

عندما قال أحد المرتزقة السوريين ذات يوم إن مجنديهم من المخابرات التركية أنبلوهم بأن مهمتهم في ليبيا ستكون حراسة حقول وموانئ النفط لم يتعسف عن الحقيقة، وإنما كشف عن أسس المؤامرة متعددة الجنسيات التي كانت تستهدف المؤسسة العسكرية والتي لم تكن تركيا سوى رأس الحربة فيها، واستطاعت جهات إقليمية ودولية تفكيكها، وسعت القاهرة إلى وأنها بتبني مبادرة للحل السياسي، قد تكون آخر المبادرات في هذا السياق، قبل أن تتجه ليبيا إلى تقسيم الجغرافيا الذي لن يؤخره إلا التوافق على تقسيم منابع الثروة.

كان آخر ما يمكن أن ينتظره المراقبون هو انسحاب الجيش من مدن مثل ترهونة، والأصابع، وقصر بن غشير، التي كانت حاضنة أساسية لقواته، قبل أن تستبجها ميليشيات الإرهاب والمرتزقة، وتمارس فيها أبشع أشكال الانتهاكات التي لم تقابلها بعفة الأمم المتحدة وبعض القوى الدولية إلا بالتعبير عن القلق إزاءها.

الحقيقة أن مشهد تحرير المدن والقرى الليبية من أهله ليس جديداً، فقد حدث في العام 2011 وفي السنوات التي تلتها، وكانت قوات الفتح الميليشياوي تحت هتافات التكبير الخادعة، تقتل وتعتقل وتنهب وتسلب وتغتصب أمام أنظار العالم الذي كان في كل مرة يستعجل النتائج على حساب دماء الأبرياء وصرخات المظلومين.

أصبحت الكرة في مرمى المجتمع الدولي، ولكن البعض يرى أن ذات الكرة سبق أن وضعت في ذات المرمى دون أن يتحقق الهدف، فهل ستحصل المعجزة هذه المرة؟

أكبر مشاكل ليبيا أن أغلب المتدخلين الإقليميين والدوليين لا يريدون أن تعود الكلمة للشعب، لأنهم يعلمون أنه رافض تماماً للنخب السياسية الفاعلة حالياً، ويرى فيها سبب ما آلت إليه الأوضاع في البلاد، والتفريط في السيادة الوطنية والفساد على الدولة واستقبال الغزاة الأجانب، وعندما تتوفر له الفرصة سيقول كلمته في اتجاه مختلف تماماً عن اتجاه مصالح داعمي ميليشيات الوفاق وعرابي الإخوان.

جاءت المبادرة المصرية في محاولة لقطع الطريق أمام الغزو التركي، وهي مبادرة تكمن أهميتها في أنها صادرة عن قيادة الجيش الفاعل ميدانياً، ولكن كذلك من البرلمان المعترف به دولياً وهو الجهة الوحيدة المنتخبة مباشرة من الشعب عكس المجلس الرئاسي ومجلس الدولة المتمرسين وراء جحافل الإرهابيين والمرتزقة في طرابلس.

ورغم أن تلك المبادرة قد حظيت بالكثير من مؤشرات الدعم، إلا أنها تواجه تحديات عدة أبرزها أن هناك من العرب وخاصة في المنطقة المغاربية باتوا أقرب إلى أنقرة من القاهرة، كما

الحبيب الأسود

كاتب تونسي



واهم من يعتقد أن الغزاة الأتراك وحلفاءهم في الداخل سيقفون عند حدود التوافقات الدولية بعد انسحاب الجيش الليبي، فهدفهم التالي هو منابع الثروة بدءاً من منطقة الهلال النفطي.

عندما قال أحد المرتزقة السوريين ذات يوم إن مجنديهم من المخابرات التركية أنبلوهم بأن مهمتهم في ليبيا ستكون حراسة حقول وموانئ النفط لم يتعسف عن الحقيقة، وإنما كشف عن أسس المؤامرة متعددة الجنسيات التي كانت تستهدف المؤسسة العسكرية والتي لم تكن تركيا سوى رأس الحربة فيها، واستطاعت جهات إقليمية ودولية تفكيكها، وسعت القاهرة إلى وأنها بتبني مبادرة للحل السياسي، قد تكون آخر المبادرات في هذا السياق، قبل أن تتجه ليبيا إلى تقسيم الجغرافيا الذي لن يؤخره إلا التوافق على تقسيم منابع الثروة.

كان آخر ما يمكن أن ينتظره المراقبون هو انسحاب الجيش من مدن مثل ترهونة، والأصابع، وقصر بن غشير، التي كانت حاضنة أساسية لقواته، قبل أن تستبجها ميليشيات الإرهاب والمرتزقة، وتمارس فيها أبشع أشكال الانتهاكات التي لم تقابلها بعفة الأمم المتحدة وبعض القوى الدولية إلا بالتعبير عن القلق إزاءها.

الحقيقة أن مشهد تحرير المدن والقرى الليبية من أهله ليس جديداً، فقد حدث في العام 2011 وفي السنوات التي تلتها، وكانت قوات الفتح الميليشياوي تحت هتافات التكبير الخادعة، تقتل وتعتقل وتنهب وتسلب وتغتصب أمام أنظار العالم الذي كان في كل مرة يستعجل النتائج على حساب دماء الأبرياء وصرخات المظلومين.

أصبحت الكرة في مرمى المجتمع الدولي، ولكن البعض يرى أن ذات الكرة سبق أن وضعت في ذات المرمى دون أن يتحقق الهدف، فهل ستحصل المعجزة هذه المرة؟

لا شيء يدفع نحو التفاوض فعلاً، فغرفة العمليات التركية أعدت آلاف المسلحين من قلول تنظيم القاعدة وداعش والإخوان الفارين من أجدابيا وبنغازي ودرنة لتعديدهم إلى المواجهة مع الجيش في المنطقة